مدينـــة كلـوة
دراسة في تاريخها السياسي ٩٧٥ـ١٤٤٢ م

م٠د٠ احمد محمد طنش
كلية الآداب / جامعةالقادسية

الخلاصة :

مثل تاريخ مدينة كلوة مرحلة مهمة من مراحل النهوض والتقدم في مناطق تقع خارج المنطقة العربية والإسلامية المعروفة ، وتحديدا في شرق أفريقيا ذلك الإقليم الذي شهد تأثيرا واضحا للحضارة العربية والإسلامية.

جاءت أهمية البحث المعنون (مدينة كلوة دراسة في تاريخها السياسي ٩٧٥-١٤٤٢)م من الدور الذي اضطلعت به هذه المدينة التي تم تأسيسها على يد علي بن الحسين الشيرازي والتي كان لها دور مباشر في نشر الحضارة والثقافة الإسلامية في إقليم شرق أفريقيا فيما بعد ، فضلا عن أنها مثلت أول كيان سياسي نشأ في المنطقة كان له تأثيرات ايجابية انعكست على جوانب عديدة حضاريا وثقافيا واقتصاديا.

اشتمل البحث على عناوين جانبية تناولت الموقع الجغرافي المميز لكلوة وبدايات التأسيس التي تمت على يد الأسرة الشيرازية واستمرارها في الحكم لقرنين من الزمان تقريبا، فضلا عن توضيح أهم الأنشطة السياسية والاقتصادية لحكام كلوة من تلك الأسرة ، ثم انتقال الحكم إلى أسرة بيت أبي المواهب العربية وحتى عام ١٤٤٢م (٨٤٦هـ) . لقد مثلت كلوة وتوابعها أول دولة حديثة حكمت الأجزاء الجنوبية من الساحل الشرقي لأفريقيا استمر حكمها زهاء خمسة قرون أسهمت هذه الدولة فيما بعد وبشكل واضح في قيام دولة عربية حديثة استندت على الإرث الذي تركته كلوة ألا وهي سلطنة زنجبار ، فضلا عن الدور الذي قامت به في زعامة الأنشطة التجارية ،التي حققت لها صلات واسعة مع العديد من مناطق العالم، فضلا عن أنها دعمت قيام كيان سياسي عربي شمال جزيرة مدغشقر وقد استمرت في ذلك الدور حتى احتلالها من قبل البرتغاليين عام ١٥١٢م (٩١٨هـ).

مدخل :

كلوة بالكسر ثم السكون وفتح الواو موضع بأرض الزنج [١] ،وهناك في حقيقة الأمر ثلاث مواقع في شرق أفريقيا تسمى بهذا الاسم الموقع الأول والذي شمله هذا البحث هو كلوة كيسواني، أما الثاني فيسمى كلوة كيفنجي وهي منطقة حديثة البناء تبعد حوالي ٢.٥ كم إلى الشمال من المنطقة الأولى، والثالث موقع كلوة ماسكو و هو عبارة عن حزام من الأحراش الكثيفة [٢].

مثلت مدينة كلوة كيسواني محط أنظار الأقوام التي هاجرت إلى شرق أفريقيا لتصبح فيما بعد نقطة الصراع والتنازع بين الأفارقة من جهة والأقوام التي هاجرت إليها من جهة أخرى، وهو أمر طبيعي جداً خلال تلك الفترة التي شهدت تنافساً تجارياً واضحاً، خاصة وان إقليم شرق أفريقيا بعامة كان يمثل مصدراً مهماً من مصادر التجارة بشتى أنواعها مثل الرقيق والعاج والذهب وغيرها من المواد التي كانت تمثل عصب تجارة المحيط الهندي ومنه إلى باقي مناطق العالم [٣] .

الموقع الجغرافي :

تقع مدينة كلوة على خط عرض ٥٨.٤٥° جنوب خط الاستواء على الساحل الشرقي لأفريقيا، وتبعد عن جزيرة زنجبار جنوباً حوالي ٣٠٠كم في حين تبعد عن مدينة دار السلام حوالي ٢٤٠ كم، مناخها حار رطب إذ تصل معدلات درجات الحرارة فيها بين (٣٥- ٣٩°)، في حين تكون معدلات سقوط الأمطار فيها حوالي ٥٥ بوصة ويكون سقوطه بين شهري كانون الأول وآذار، وذلك نتيجة لهبوب الرياح الشمالية الشرقية من المحيط الهندي على معظم مناطق الساحل الشرقي من أفريقيا [٤] ، وكلوة جزيرة صغيرة يصل طولها حوالي ٥ كم أرضها حجرية لا تحوي على الزراعة؛ لذا بنيت فيها قصور السلاطين والمساجد فضلا عن العديد من المساكن ، وترتبط بالبر الأفريقي بواسطة طريق ضيق تتضح معالمه عند انحسار المد في حين تغطي المياه هذا الطريق عند ارتفاع المد البحري [٥].

التأسيس:

أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن تأسيس مدينة كلوة تم على يد مهاجرين من شيراز وذلك في مطلع القرن العاشر الميلادي، يتزعمهم علي بن الحسين بن علي صاحب شيراز [٦] ، وقد امتد نفوذ هذه المدينة جنوبا لان معظم المناطق الواقعة إلى الشمال منها كانت تحت حكم المهاجرين العرب الذين وصلوا إلى المنطقة في فترات سابقة وقاموا بتأسيس عدد من دويلات المدن في كل من لامو Lamu وباتا Pata ومالندي Malindi وممباسا Mumbasa وغيرها [٧] ، وبصورة عامة فان الساحل الشرقي لأفريقيا بمجمله كان يعيش واقع دويلات المدن المستقلة بعضها عن البعض الآخر من الناحية السياسية، في حين أنها تشترك في التجارة الإقليمية والمحلية ولم يتحقق لها الولاء إلى جهة معينة عدا ولاءها لسلطنة زنجبار التي أقامها البوسعيديون فيما بعد [٨] .

أشار المغيري إلى أن الروابط التي جمعت العرب المسلمين في شرق أفريقيا بعامة وكلوة بخاصة قد سبقت الوجود الشيرازي واستدل، على ذلك بان التجار العرب كانوا قد أقاموا مسجداً سمي مسجد كبل، الذي يرجح أن بناؤه تم في بدايات العصر العباسي [٩] ، وقد أشار ابن بطوطة الذي جاب مناطق عديدة ومنها سواحل شرق أفريقيا وزار كلوة في عام ١٣٣١م(٧٣٣هـ) إلى أن المسلمين فيها كانوا على المذهب الشافعي ، فضلا عن انتشار المساجد الكثيرة ، ويتحدث أهلها العربية وهناك لهجات أخرى عديدة ، كما أن العرب يمثلون طبقة التجار و هي أعلى طبقات المجتمع في المدينة [١٠] ، كما أشار كوبلاند إلى أن العرب توجهوا من شبه الجزيرة العربية وبخاصة من عُمان إلى ساحل أفريقيا الشرقي لممارسة التجارة وإقامة مجتمعات خاصة بهم [١١]، وقد مارس هؤلاء التجار ما عرف بـ :تجارة المسافات الطويلة في العديد من المنتجات مثل العاج والذهب والرقيق وغيرها شملت هذه التجارة جميع المدن الساحلية وفي مقدمتها كلوة وصولا إلى المناطق الداخلية في القارة الأفريقية وفي عدة اتجاهات في ما يعرف اليوم بـ: كينيا وتنزانيا [١٢].

يبدو أن طرق التجارة بين مدينة كلوة والمناطق الواقعة وراءها هي من أقدم الطرق الممتدة إلى الداخل الأفريقي [*] ، إذ أن الاتصال بين المناطق المحيطة ببحيرة نياسا وكلوة كانت ميسرة إلى حد كبير، خاصة وان هذه الطرق كانت تمر بأرض مأهولة بالسكان تتوفر فيها سبل الراحة والأمان ، تقع معظمها تحت سيطرة قبيلة ياؤYao الأفريقية التي كان أبناؤها يتولون نقل العاج والشمع والرقيق إلى كلوة ، وقد استمر نشاط هذه القبيلة بعد ما بلغت تلك التجارة ذروتها في القرن التاسع عشر، وأدى ذلك بعدئذٍ إلى تفوقهم الواضح في مجال التجارة الإقليمية للمنطقة ، كما أسهم الموقع الجغرافي المهم في ارتفاع شانهم بعد أن كانوا يعيشون بشكل جماعات صغيرة غير منتظمة تحت قيادة زعماء عديدون ، ومن ثم تجمعوا في وحدات قبلية اكبر أسهمت في ازدياد قوتهم وامتداد نفوذهم إلى مناطق عديدة وقد خضعت هذه القبيلة اسميا لنفوذ كلوة [١٣].

امتدت السيادة التجارية لكلوة على مناطق عديدة، ضمن الساحل الشرقي لإفريقيا وذلك منذ مطلع القرن الثاني عشر ، وامتدت تلك السيادة على كل من: سفالة وكويليمان Qwliman وانغوش Angoche ، إلى الجنوب منها، وكانت العملة المستعملة للتداول تسمى: الشولة، وهي عملة نحاسية كتب على الوجه الأول منها نقد داود بن سليمان، أما في الوجه الآخر فتم كتابة عبارة: تعاملوا بالإحسان [١٤]، وقد وجدت كميات من هذه المسكوكات في مناطق عديدة من شرق أفريقيا ، وعند وصول البرتغاليين إلى المنطقة في مطلع القرن السادس عشر وجدوا أن لسلطان كلوة ممثلين يجمعون الضرائب في المناطق الخاضعة لهم ، وبخاصة المناطق الواقعة جنوبا ، وتعد مشاركة سلاطين كلوة في المجال التجاري واضحة ، إذ ذكرFreeman أن جزءاً من قصر السلطان كان مخصصا للأنشطة التجارية ، وهو عبارة عن ملحق يضم مكاتب وسكن الوكيل التجاري [١٥].

لقد انعكس الرخاء الاقتصادي الواضح لكلوة ، فضلا عن الاحتكاك الحضاري بالمناطق الأخرى كونها الميناء الرئيس في شرق أفريقيا ، على حياة السكان بعامة ، في الوقت نفسه شهدت كلوة نشاطات اقتصادية متعددة كانت مكملة للأنشطة الاقتصادية الرئيسة ، فعلى سبيل المثال ثم استخدم الحجر بشتى أنواعه في بناء القصور والمساجد والدوائر الحكومية وبأشكال هندسية متعددة ، وكان ينقل من عدة مناطق في أفريقيا إلى كلوة ، فضلا عن استيراد كميات كبيرة من الفخار الصيني واستخدامه في مجالات كثيرة[١٦] .

اشتهرت كلوة أيضاً بصناعة المسابح الزجاجية والصدفية ، كما اشتهرت المدينة بصناعة أجود أنواع المطاحن (المجارش) المصنوعة من الحجر الرملي ، وكان يتم استخدامها سلعةً للمقايضة ببضائع ترد من الداخل الأفريقي ، ومن البضائع المهمة التي كان يتم تداولها في أسواق المدينة: الفضة واللؤلؤ والبخور والعطور وغيرها ، كما تم بناء مخازن كبيرة في الميناء لغرض حفظ البضائع المعدة للتصدير والاستيراد [١٧].

الواقع السياسي :

حكم الأسرة الشيرازية:

يبدو أن هنالك صعوبة واضحة في التعرف على التفاصيل الدقيقة عن الأوضاع السياسية في كلوة ؛ ولعل ذلك يعود إلى التضارب الواضح بين المصادر التاريخية التي أشارت إلى تلك الأوضاع ، وعلى الرغم من ذلك فان هنالك شبه اتفاق على أن أول من حكمها هو علي بن الحسين بن علي واستمر حكمه قرابة ٢١ سنة، امتدت من تأسيس سلطنته سنة ٩٧٥م(٣٦٥هـ) حتى سنة ٩٩٦م(٣٨٦هـ) [١٨] ، وقد أرسى هذا الحاكم نظام الحكم الوراثي ، وخضعت لسلطانه مناطق عديدة من شرق أفريقيا منها مافيا التي عين عليها والٍ تابع له ، كما عين ابنه محمد والياً على ممباسا [١٩] ، وقد شهدت سنوات حكمه عملية بناء واضحة للقصور والمساجد، فضلا عن قيامه بتطوير ميناء كلوة بغية جعله قادرا على تلبية احتياجات السفن التي تقوم بنقل البضائع المصّدرة ،التي كان معظمها يتجه إلى شبه الجزيرة العربية والهند فضلا عن بغداد عاصمة الخلافة العباسية وكذلك البضائع التي كانت تمر بالدولة الفاطمية في طريقها إلى أوربا [٢٠] ، وبعد وفاته سنة ٩٩٦م(٣٨٦هـ) انتقل الحكم إلى ابنه بسحت بن علي الذي لم يستمر حكمه سوى ثلاث سنوات إذ توفي سنة ٩٩٩م(٣٩٠هـ) اثر مرض ألم به و لم يستطع الأطباء شفائه فانتقل الحكم من بعده إلى أخيه داود الذي حكم كلوة حتى عام ١٠٠٣م(٣٩٤هـ) غير أن هذا الأخير لم يكن ميالا كثيرا لشؤون الحكم والسلطة، إذ ذكر Sutton انه كان زاهدا في الدنيا غير مهتم بملذاتها وكان ينتظر بلوغ ابنه (علي) سناً تؤهله للحكم وتم ذلك في عام ١٠٠٣م فتنازل له عن حكم السلطة وتوجه للعيش في ممباسا [٢١].

لم يستقر الأمر طويلا بالحاكم الجديد ففي السنة التي استلم فيها الحكم هوجمت كلوة من قبل قبيلة شغ Shag الأفريقية، ويطلق على سكانها تسمية: المتمندلين وهي مستقرة في جزيرة (سونغو منارا) القريبة و لم تخضع هذه القبيلة أبدا لسلطة حكام كلوة ، وبعد قتال دام عدة أيام تمكن المهاجمون من السيطرة على المدينة، وقاموا بتنصيب خالد بن بكر وهو تاجر من أصل عربي كان مستقراً في جزيرة سونغو منارا و حكم كلوة مدة سنتين ونصف [٢٢] ، وخلال فترة حكمه أبقى على الولاة الذين كانوا يحكمون توابع كلوة في مناصبهم، كما أصدر عفواً عن السلطان السابق وعائلته ، إلا أن مما يؤاخذ عليه عدم قدرته على إدارة شؤون البلاد بشكل صحيح ، فقد تدهورت الأوضاع الاقتصادية بشكل كبير، الأمر الذي أدى فيما بعد إلى اندلاع ثورة داخلية قام بها سكان المدينة ضد حكمه فتم خلعه وطرده إلى منطقة سونغيا داخل البر الأفريقي الشرقي وكان ذلك في سنة ١٠٠٥م(٣٩٦هـ) [٢٣].

عاد الحكم إلى الأسرة الشيرازية وتولى السلطة في كلوة الحسن بن سليمان واستمر حكمه قرابة ١٢سنة (١٠٠٥- ١٠١٧)م(٣٩٦-٤٠٨)هـ ، إلا أن المتمندلين عادوا للهجوم على المدينة مرة أخرى مما اضطر الحسن بن سليمان إلى الهرب خارج المدينة وتوجه إلى جزيرة زنجبار ليستقر فيها ، في حين قام المتمندلون بتنصيب محمد بن الحسن المنذري حاكما على كلوة بين (١٠١٧ــ ١٠٢٩) م(٤٠٨-٤٢٠)هـ [٢٤].

جدير بالذكر أن عملية تغيير حكام كلوة بهذه الطريقة لم تتكرر كثيرا وغالبا ما تنتهي بإعادة الحكم إلى أصحابه الشرعيين، وهذا ما حدث فعلا مع محمد بن الحسن المنذري فقد ضاق السكان ذرعا بإجراءاته القاسية ضدهم ومنها رفع نسبة الضرائب على جميع البضائع حتى وصلت إلى ١٥% الأمر الذي انعكس سلبا على الواقع الاقتصادي الذي يعد شريان الحياة في كلوة ، وقد لحق الضرر الكبير بشريحة التجار ، وبالتالي أدت تلك الإجراءات إلى قيام ثورة ضد هذا الحاكم انتهت بخلعه وطرده مع أتباعه من المدينة وتم إعادة السلطان الحسن بن سليمان ليتسلم الحكم ١٤ سنة أخرى حتى سنة ١٠٤٢م(٤٣٤هـ) [٢٥].

شهدت المدة التي تولى فيها علي بن داود بن علي الحكم في كلوة، والتي استمرت قرابة ٥٨ سنة (١٠٤٢- ١١٠٠)م(٤٣٤-٤٩٥)هـ ازدهارا اقتصاديا كبيرا إذ أشار Sutton إلى ارتفاع الطلب العالمي على الذهب كثيرا خلال تلك المدة ، فضلا عن النمو المطرد الذي شهدته موانئ شرق أفريقيا وبخاصة مينائي كلوة ومافيا من خلال الحركة التجارية المزدهرة والكبيرة التي شملت كافة البضائع ، وقد ظهر الازدهار في الوقت الذي شهدت فيه موانئ عُمان تدهوراً ملحوظاً ، فضلا عن الاضمحلال الذي أصاب النشاط التجاري في موانئ أخرى مثل: مندا وشانغا [٢٦].

كان لهذا الازدهار أثره الواضح على سك العملات النحاسية بسبب توفر مادة النحاس ورخص سعرها، ولم يتم استخدام الفضة في سك العملات علما أن العملات الفضية هي التي كانت سائدة في باقي المناطق من العالم ،والجدير بالذكر أن مسالة سك العملات في كلوة لم تتكرر كثيرا ولم يقم جميع السلاطين بسك نقود خاصة بهم، بل كان يتم الاعتماد على النقود المسكوكة في زمن سلاطين كلوة الأوائل [٢٧].

تشير المصادر التاريخية العربية إلى أن علي بن داود هو آخر السلاطين المعروفين بـ: الشيرازيين وانتقل الحكم بعده إلى الحسن بن طالوت (بيت أبي المواهب) وتعرف أيضا بـ: الأسرة المهدلية [٢٨]، وكان تولي الحسن بن طالوت الحكم في كلوة سنة ١٢٧٧م(٦٧٦هـ) واستمر لغاية ١٢٩٤م(٦٩٤هـ) ، وهذا يعني أن المدة بين سنة ١١٠٠م(٤٩٥هـ) وحتى ١٢٧٧م (٦٧٦هـ) مثلت فراغا بالنسبة لتلك المصادر العربية على العكس من المراجع الأجنبية التي أشارت إلى أن تلك المدة شهت أحداثا مهمة في المناطق التي كانت قريبة إلى حدٍ ما من كلوة، منها انهيار الدولة العباسية على يد المغول سنة ١٢٥٨م(٦٥٦هـ)، هذا من الناحية السياسية أما اقتصادياً فان القرن الثاني عشر و النصف الأول من القرن الثالث عشر شهدا ضعفاً واضحاً في الطلب على الذهب وبالتالي ضعف النشاط

الاقتصادي في الموانئ التي كانت تعتمد في عملها على تصديره، والتي مركزها في كلوة وبالتالي فان ضعف المعلومات عن تلك الفترة كان واضحاً عدا وجود أسماء السلاطين الذين تولوا الحكم ومدد حكمهم دون توفر معلومات ذات أهمية كبيرة[٢٩].

من الواضح جدا أن حكم الأسرة الشيرازية في كلوة تميز بعدة قضايا مهمة منها: أنها أول كيان سياسي نشأ في شرق أفريقيا ومارس أنشطة اقتصادية واضحة مع شتى مناطق العالم، سواء عبر المحيط الهندي أو البحر الأحمر مروراً بمناطق نفوذ الدولة الفاطمية ومن ثم انتقال البضائع إلى أوربا ، فضلا عن وجود نشاط اقتصادي أدى إلى انتقال البضائع الأفريقية إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية [٣٠]، إلا أن ما يؤاخذ على دويلات المدن بعامة وكلوة بخاصة هو ضعفها من الناحية العسكرية ، إذ لا يبدو أنها كانت تمتلك قوة عسكرية قادرة على الدفاع عن نفسها ضد الهجمات الخارجية وهذا ما حدث فعلاً عندما هاجمها المتمندلون عدة مرات وتمكنوا من خلع سلاطينها وتعيين حكام منهم بدلاً عن السلاطين الشرعيين ، ولعل التركيز على الجانب الاقتصادي المتمثل بتصدير البضائع التي كانت حكراً على تلك الموانئ، والعائدات المالية الكبيرة التي كانت تدرها تلك النشاطات ، فضلاً عن حالة الاستقرار المبنية على المصالح المشتركة بين تلك الدويلات ،كل ذلك أدى إلى عدم الانتباه إلى أهمية الجانب العسكري بصفته عاملاً مهماً من عوامل الاستقرار والازدهار .

استمرت هذه الحالة حتى بعد مدة طويلة من تدهور سلطنة كلوة وزوال ملكها فنجد أن العرب الذين حكموا شرق أفريقيا وبخاصة في عصر الدولة البوسعيدية (سلطنة زنجبار) سلكوا النهج نفسه، فكانت إمبراطوريتهم التجارية المترامية الأطراف لا تمتلك قوة عسكرية كافية للدفاع عنها [٣١]،فضلاً عن ذلك فأن سيادة الملاحة التجارية خلال تلك الفترة دفع باتجاه تأمين المسالك البحرية دون إعطاء أهمية تذكر للقضايا الأخرى ومنها توفير القوة العسكرية [٣٢].

حكم بيت أبي المواهب :

تنتمي أسرة بيت أبي المواهب إلى قبيلة المهدي من عرب الحجاز ، وقد هاجرت هذه الأسرة إلى شرق أفريقيا أسوة بمثيلاتها ولأسباب مختلفة، ومارست هذه الأسرة التجارة فكان لها نفوذ واسع في هذا المجال [٣٣]،والجدير بالذكر أن أول من حكم كلوة من هذه الأسرة هو الحسن بن طالوت وكان ذلك سنة ١٢٧٧م(٦٧٦هـ) واستمر حكمه زهاء ١٨ سنة حتى عام ١٢٩٤م٠٦٩٤هـ) [٣٤]، وقد وصفته المصادر العربية بالكرم والشجاعة وحسن الإدارة ، فضلاً عن قيامه بعدة محاولات لتوسيع سلطنته فقام بضم (منفسة) إلى أملاكه ، كما قام بتعيين احد اتباعه حاكماً عليها ، كذلك قام بإعادة بناء جامع كلوة الكبير وذلك بجلب عدد كبير من المختصين بفن العمارة من اليمن وطلب إليهم إعادة بناء هذا الجامع وإضافة عدد من البنايات إليه [٣٥] .

تولى سليمان بن الحسن بن طالوت الحكم في كلوة بعد وفاة أبيه وحكم بين عامي ١٢٩٤ م و١٣١٠م (٦٩٤-٧١٠)هـ ، وخلال هذه المدة بدأت المناطق التابعة لكلوة بالتمرد ومحاولة الاستقلال ، ولعل أوضح تلك المحاولات ما قام به سكان (مافيا) من ثورة ضد سلطان كلوة ، وتشير المصادر التاريخية إلى أن أهل هذه الجزيرة شعروا بالضيق من الضرائب المفروضة عليهم لصالح السلطة المركزية، فأعلنوا ثورتهم مطلع عام ١٣٠١م(٧٠١هـ) إلا أنها لم تكلل بالنجاح بسبب عدم مساندتها من باقي المناطق الأخرى [٣٦] ، وبوفاة سليمان بن الحسن سنة ١٣١٠م (٧١٠هـ) انتقل الحكم إلى ابنه (الحسن) وخلال مدة حكمه التي استمرت حتى سنة ١٣٣٣م (٧٣٤هـ) زار الرحالة ابن بطوطة كلوة سنة ١٣٣١م (٧٣٢هـ)، وقد أشار هذا الرحالة إلى سلطان كلوة الحسن بن سليمان و كنيته أبو المظفر وذكر عنه انه كان كثير الغزو لأرض الزنوج وان الغنائم التي كان يحصل عليها ينفقها على الفقراء في المناطق الخاضعة لسلطانه ،فضلاً عن انه كان مقصداً لشرفاء الحجاز والعراق لأجل الحصول على دعمه مادياً، إذ كان كثير العطايا لهم ولا يرد من مطالبهم شيء [٣٧].

تولى حكم كلوة بعد وفاة الحسن بن سليمان أخوه داود بن سليمان وكان له من العمر ١٤ سنة وقيل أن هذا السلطان كان زاهداً اتصف بالورع والابتعاد عن ملذات الدنيا غير محب للسلطة، واستمر في الحكم ٢٤ سنة حتى سنة ١٣٥٦م (٧٥٧هـ)، بعدها عزله أخوه الأصغر الحسين بن سليمان الذي استمر في حكم كلوة قرابة ست سنوات ونصف حاول خلالها بناء قوة عسكرية قادرة على التوغل في البر الأفريقي، في مسعىً منه للقضاء على بعض القبائل الأفريقية التي كانت تشن هجمات على طرق التجارة الداخلية فضلاً عن محاولته إجبارها على الدخول في الإسلام ، إلا أن محاولاته لم تكلل بالنجاح وقتل أثناء معركة لقواته مع قبائل ماكوندي الوثنية ، وقد استلم الحكم بعده ابنه طالوت بن الحسين الذي حكم قرابة سنتين وأربعة أشهر ، لم تشهد خلالها كلوة أحداثا مهمة ، فتوفي أثناء رحلته لحج بيت الله الحرام بعد إصابته بالحمى، وتم دفنه من قبل مرافقيه في قرية تدعى (تواك) في منفسة ،وذلك سنة ١٣٦٤م(٧٦٦هـ) دون أن يترك وريثاً للحكم بعده [٣٨].

شهد النصف الثاني من القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر الميلاديين ازدهاراً تجارياً كبيراً في كلوة إذ ارتفع الطلب في أوربا على الذهب بشكل كبير وتزامن ذلك مع بزوغ فجر الصناعة ، فضلاً عن ازدياد الطلب على المنتجات الأفريقية الأخرى والتي كان معظمها يصدر عن طريق الموانئ التابعة لكلوة [٣٩]، كما أن سياسات بعض المناطق الأوربية الاقتصادية بدأت تنعكس إيجابا على الواقع الاقتصادي في شرق أفريقيا ،فعلى سبيل المثال أدى قيام دولة المدينة في فلورنسا بسك أول عملاتها من الذهب عام ١٢٥٢م (٦٥٠هـ)، وقيام الملك ادوارد الثالث بتمويل جيشه أثناء حرب المائة عام بعملات تم سكها من الذهب إلى أن تستورد أوربا كميات من الذهب الأفريقي لم يتم استيرادها في السابق، وقد وصل الطلب على هذا المعدن المهم ذروته بين عامي ١٣٢٠ـ١٣٣٠م (٧٢٠-٧٣١)هـ، و انعكس هذا الأمر على شرق القارة الأفريقية كما انعكس على غربها أيضا ، وقد شهد عام ١٣٢٠م(٧٢٠هـ) ، ولأول مرة في كلوة سك دينار من الذهب بمواصفات عالية وصفه Sutton بأنه عالمي الطراز ، غير أن ذلك الانتعاش الاقتصادي ما لبث أن انهار بسبب تفشي الوباء المعروف بـ: الموت الأسود (الطاعون) ،الذي اكتسح العالم خلال القرن الرابع عشر والحق أضراراً كبيرة بالتجارة العالمية وبخاصة البضائع التي تم نقلها بواسطة السفن، لأن تلك الموانئ تساعد كثيراً على انتقال العدوى من بلد لآخر [٤٠].

بعد وفاة طالوت بن الحسين ،تولى الحكم عمه سليمان و استمر حكمه حتى سنة ١٣٨٩م (٧٩٣هـ)، وقد وصفه المغيري بالضعف وعدم القدرة على إدارة شؤون الحكم بسبب انغماسه بالملذات وعدم الاهتمام بشؤون البلاد [٤١] ، و تولى الحكم من بعده ابنه محمد الملقب بـ: الملك العادل الذي اهتم كثيراً بتطوير ميناء كلوة ومحاولة توسيعه ، فضلاً عن اهتمامه المنقطع النظير بإعادة بناء كافة مساجد كلوة وتطويرها، وبصورة خاصة المسجد الكبير حيث تقام فيه صلاة الجمعة والذي تم توسيعه في عهد هذا السلطان أربع مرات من خلال إضافة الأقواس والقباب الجديدة ،فضلا عن بناء مكتبة كبيرة ألحقت بالمسجد ضمت أعداداً كبيرة من الكتب الدينية ، وقد امتد حكم الملك العادل حتى سنة ١٤٢١م (٨٢٤هـ) ليتولى بعده ابنه سليمان الحكم وهو يمثل مرحلة الاستقرار الأخيرة التي عاشتها كلوة ،إذ بدأت بوادر انتعاش التجارة تعود من جديد وبدأت سفن نقل البضائع تمارس نشاطها بشكل واسع في ميناء كلوة [٤٢]

.

تدهورت الأوضاع السياسية بعد وفاة السلطان سليمان عام ١٤٤٢م (٨٤٦هـ)، بسبب تزايد نفوذ الوزراء وتدخلهم في قضية انتقال الحكم من سلطان إلى آخر ، وقد وصل الأمر في بعض الأحيان إلى محاولة الوصول إلى سدة الحكم ، وخير مثال على ذلك ما حدث في عهد سليمان بن الحسين (١٤٤٢-١٤٥٤)م (٨٤٦-٨٥٨)هـ إذ جرت محاولة للإطاحة به من قبل الوزير سعيد بن الحسين الذي حاول الاستعانة بحاكم زنجبار حسن بن أبي بكر لتحقيق هذا الغرض [٤٣] ،هذا فضلاً عن عدة قضايا مهمة بدأت تسهم في إضعاف كلوة، منها محاولة حاكم سفالة يوسف بن محمد (١٤٧٦-١٤٧٧)م

(٨٨١-٨٨٢)هـ الاستقلال عنها وإعلان نفسه ملكاً على سفالة، مستغلاً حالة الضعف والصراعات الداخلية التي عصفت بمؤسسة السلطنة ،فضلاً عن استغلاله لعائدات تصدير الذهب الكبيرة والتي كان معظمها يشحن من ميناء سفالة ،وغيرها من الحوادث التي أضعفت كلوة حتى تم احتلالها من قبل البرتغاليين سنة ١٥١٢م (٩١٨هـ) (٤٤).

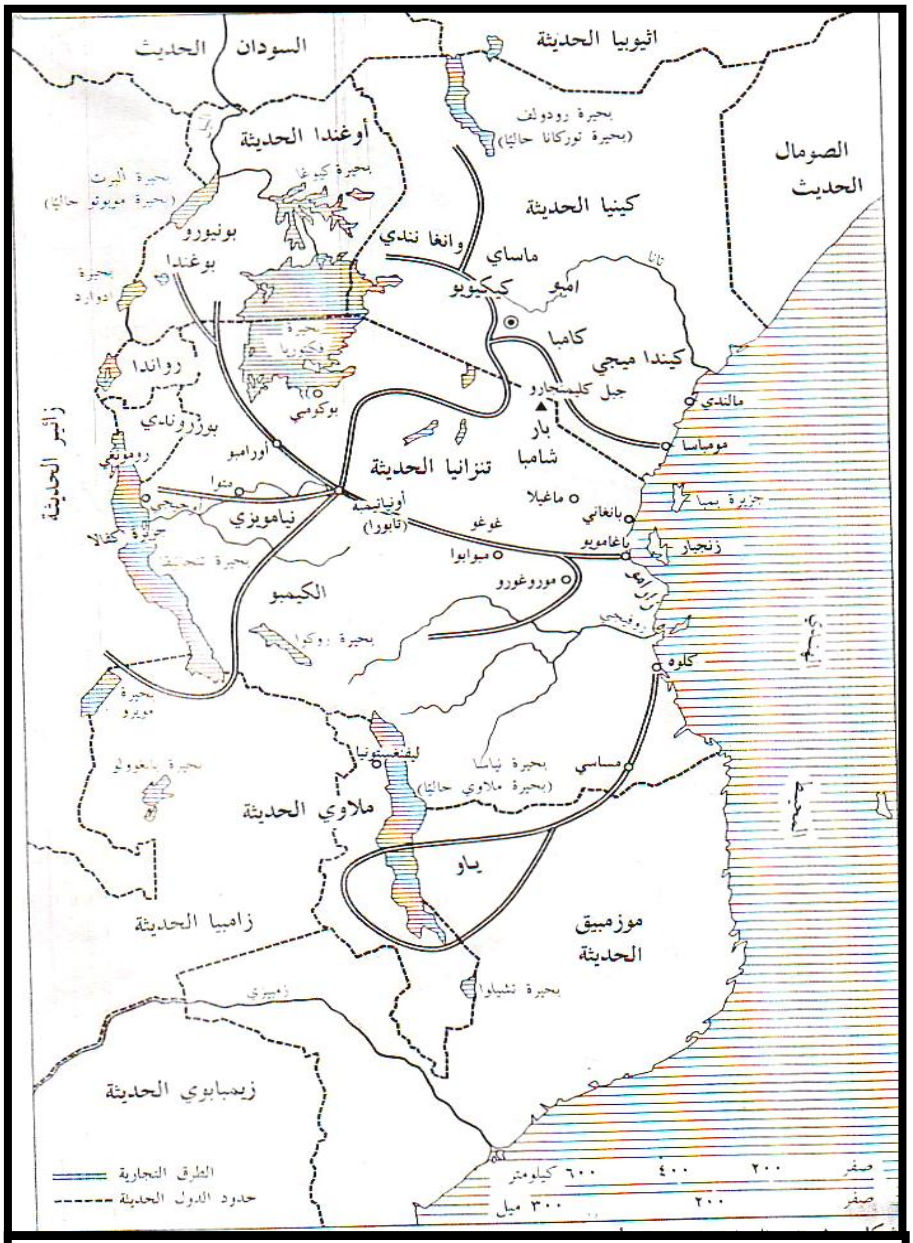

خارطة: طرق التجارة البرية في شرق أفريقيا . (المصدر: ا. ن. كيمامبو : ساحل افريقيا الشرقي والمناطق الداخلية , ١٨٤٥- ١٨٨٠)

هوامش ومصادر البحث:

١-البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: محمد علي البجاوي، ط١، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٥، ج٣، ص.١١٧٧

2- Encyclopedia Britannica, Vol.13, U.K.1962, p.381.

٣- زاهر رياض، استعمار أفريقيا، القاهرة ١٩٦٥ م، ص.٢٦

٤- جمال الدين الدناصوري، جغرافية العالم، ج٢، أفريقيا واستراليا، القاهرة د. ت، ص ٥٢٨ ؛ Encyclopedia Britannica, Vol.13, p381

5- Encyclopedia Britannica, Vol.13, p.381.

٦- عبد الرحمن زكي، بعض المدن العربية على ساحل أفريقيا الشرقي في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٤م، ص١١٤؛ محمود شاكر، تنزانيا، ط١، بيروت١٩٧١م، ص.١٣

٧- احمد محمد طنش، زنجبار والسياسة البريطانية ١٩١٤-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية/ جامعة القادسية٢٠٠٠ م، ص.٨

٨- كيمامبو،إ.ن.، ساحل أفريقيا الشرقي والمناطق الداخلية ١٨٤٥-١٨٨٠، تاريخ أفريقيا العام، المجلد السادس، الطبعة العربية،بيروت١٩٩٦م, ص.٢٨٤

٩- سعيد بن علي المغيري، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق محمد علي الصليبي، ط٣، مسقط ١٩٩٤م، ص.١٠٥

١٠- ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، رحلة ابن بطوطة، ط١، بيروت٢٠٠١، ص١٥٠؛ شارل اندريه جوليان، تاريخ أفريقيا، ترجمة: طلعت عوض أباظة، القاهرة١٩٦٨م، ص.٧٨

11-Coupland R., East Africa and its invaders, U.K.1935, p.16.

١٢- جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، القاهرة١٩٧٥م، ص٨٣؛ Omer Cooper J.D. and Others, The Growth of African Civilization, Hong Kong1975, p.20.

(*)- انظر الخارطة المرفقة بالبحث.

١٣- كيمامبو، المصدر السابق، ص٢٨١؛ Philip C. and Others, African History, Hong Kong1989, p.395.

١٤- المغيري، المصدر السابق، ص ص١٣٦-.١٣٧

15- Freeman G., The Medieval History of Coast Tanganyika, Berlin1962, p.88.

١٦- شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية،سلسلة عالم المعرفة، الكويت١٩٩٠م، ص.١٧٠

١٧- جمال زكريا قاسم، دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا ١٧٤١-١٨٦١، القاهرة١٩٦٨م، ص١٦؛ آدم بمبا، الفعل الحضاري للهجرات الإسلامية في أفريقيا، مجلة قراءات افريقية، العدد٢، ايلول٢٠٠٥، ص٤.(إنترنت).

١٨- عبد الحق ميحي تهامي، صراع الحضارات على جزيرة زنجبار وأثره على الدعوة الإسلامية، زنجبار٢٠٠٦،ص١٤.

19- Sutton J., The southern Swahili harbor and town on Kilwa island, (internet), p.5.

20-Ibid, p6.

21- Freeman, Op.Cit., p.148.

22- Fage J. and Oliver R., Papers in Africa Prehistory, Cambridge 1970, p.257.

23- Ibid. p.258.

24-Ibid. p.258.

25- Sutton, Op.Cit., p.6.

26- Ibid, p.6.

٢٧- المغيري، المصدر السابق، ص.١٠٩

28- Fage and Oliver, Op.Cit., p.259.

29- Sutton, Op.Cit., p.5.

٣٠- قاسم، دولة بوسعيد، المصدر السابق، ص٢٣٨؛ Freeman, Op.Cit., p.149.

31-Ibid, p.149.

٣٢- صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي، الكويت١٩٨٢م، ص٤٤..

34- Fag and Oliver, Op.Cit.,p.259.

٣٥- - المغيري، المصدر السابق، ص .١١٠

36- Freeman, Op.Cit., p.150.

٣٧- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص.١٥٠

٣٨- - المغيري، المصدر السابق، ص .١١١

٣٩- عدنان مراد، المجتمعات الأفريقية أصولها- تاريخها وشعوبها وثقافتها، القاهرة١٩٩٥، ص.٢٦٩

40- Sutton, Op.Cit., p.6.

٤١- جهينة الأخبار ، ص .١٢٥

42- Freeman, Op.Cit., p.152.

43- Ibid, p.152.

٤٤- زاهر رياض، المصدر السابق، ص٢٧.

Abstract

History of Kilwa. important stage of the stages of advancement and progress in areas outside the Arab and Islamic region known, specifically in the Eastern African region which saw the clear impact of the Arab and Islamic civilization. The importance of research was entitled (City of Kilwa study in political history 975-1442 A.C.) of the role played by this city that has been founded by Ali Bin Al-Hussein, which has had a direct role in the dissemination of Islamic culture and civilization of the Eastern Africa after, as it represented the first political entity emerged in the region has had a positive impact on many aspects reflected civilized, culturally and economically.

The titles included research on the side's privileged geographical location Kilwa and the beginnings of incorporation were at the hands of Alchirazi family in power for nearly two centuries, as well as to clarify the most important political and economic activities of the governors of those Kilwa family then governance transition to the family Bait Abo almowahib Arab and even 1442 has represented Kilwa and Vicinity first modern State ruled the southern parts of the east coast of Africa continued its nearly five centuries later and has been evident in the modern Arab state based on the legacy left by Kilwa namely.

The Sultanate of Zanzibar as well as the role played by the leadership in commercial activities, which have achieved extensive links with many regions of the world. Has continued in that role until the occupation of the Portuguese in 1512.